

عنوان المداخلة: الآيات المشككة المتعلقة بالقضايا العقدية وتوجيهها عند أهل السنة

-دراسة تحليلية مقارنة-

عنوان الملتقى الوطني: التفسير عند الفرق والمذاهب قراءة في الأصول والمصادر .

إعداد: د: هشام شوقي .

الرتبة: أستاذ محاضر أ .

المؤسسة الجامعية: جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة للعلوم الإسلامية .

البريد الإلكتروني: chougi_19@hotmail.fr .

رقم الهاتف: 0553550006 .

تاريخ انعقاد الملتقى: 21 جوان 2023 .

مكان انعقاد الملتقى: جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان .

مذ نزل القرآن الكريم والعلماء ينهلون من معينه ويستدلون بآياته على مذاهبهم الفقهية ومعتقداتهم الفكرية محاولين بذلك إعطاء الصبغة الشرعية لأرائهم؛ ولذلك تعددت الأقوال واختلفت الآراء في كثير من معاني الآيات القرآنية، وقد انجرت هذا الاختلاف حتى على آيات عرفت عند العلماء بـ "مشكل القرآن" واختلفوا في توجيهها، فكانت كل فرقة من الفرق تحاول إزالة ذلك الإشكال الظاهري بما يتوافق مع آرائها ولا يتناقض معها، ولذلك تعددت التوجيهات لتلك المشكلات .

ثم إن علم "مشكل القرآن" يتوزع على أنواع الآيات القرآنية؛ فهناك: مشكل في "آيات الأحكام"، ومشكل في "آيات القصص والأخبار"، ومشكل في "مسائل لغوية" ... وهكذا، ومن أهم تلك الأنواع: المشكل في "آيات العقيدة"، وهو موضوع هاته الورقة البحثية التي أسعى من خلالها إلى تسليط الضوء على طريقة أهل السنة والجماعة في توجيه بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالعقيدة والتي اقتضت فيها على آيات مشكلات تتعلق بجانب الأنبياء، و يظهر للقارئ ابتداء أن فيها إشكالات تقدر فيهم .

وقد حاولت الإجابة عن تساؤل جوهري وهو: ما هي طرق الإجابة عن بعض الآيات المشككة في العقيدة عند أهل السنة والجماعة ؟ .

وللإجابة عن هذا التساؤل اخترت أمثلة تطبيقية تتعلق بالركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله، وصلت إلى خمس آيات، ثم قمت ببيان طريقة مفسري أهل السنة في دفع المشكل عنها، وجعلتها وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: الآيات العقيدية المشككة المتعلقة بالشرك بالله وتوجيهها عند أهل السنة .

وتحدثت فيه عن آيتين توهم كل واحدة منهما أن فيها مشكلا قرآنيًا، الأولى: توهم وقع آدم في الشرك بالله وهو نبي من الأنبياء، والثانية: تتعلق بإثبات الإيمان والشرك في نفس المحل وهو تعارض ظاهر .

المبحث الثاني: الآيات العقيدية المشككة المتعلقة بالقدرة الإلهية وتوجيهها عند أهل السنة .

وتحدثت فيه عن ثلاث آيات، توهم كل واحدة منها أن فيها مشكلا قرآنيًا يتعلق بقدرة الله تعالى، الأولى: توهم شك إبراهيم في قدرة الله على إحياء الموتى، والثانية: توهم وقوع يونس في الشك في قدرة الله عليه، والثالثة: توهم جواز صناعة التماثيل مع أنه منهي عن ذلك .

وتفصيل هذه المسائل كما يلي:

المبحث الأول: الآيات العقدية المشككة المتعلقة بالشرك بالله وتوجيهها عند أهل السنة .

وتحتة مطلبان هما:

المطلب الأول: توهم وقوع آدم في الشرك بالله وهو نبي من الأنبياء:

وقد ورد هذا الإشكال في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190)﴾

{النساء: 189-190}، وسوف أتحدث عن هذا الإشكال والإجابة عنه من خلال المسائل الآتية:

أولاً: وجه الإشكال في الآية:

يتلخص الإشكال الوارد في هذه الآية فيما ذكره الإمام السيوطي في قوله: " آخر الآية مشكل حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء، وآدم نبي مكلم والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعاً " ¹.

ثانياً: أقوال العلماء في دفع المعنى المشكل الوارد في الآية:

دفع المفسرون هذا الإشكال الوارد في الآية بجوابين هما قولان في الآية :

الجواب الأول: أن آدم وحواء وقعا في الشرك فعلا ولكنه شرك طاعة وتسمية فقط لا شركا أكبر، فهما المقصودان في قوله تعالى: " جعللا له شركاء فيما آتاهما"، وأما المقصود في قوله تعالى " فتعالى الله عما يشركون" فهم عموم المشركين وليسوا آدم وحواء .

ومما يدل على هذا القول،

وقد استدلل أصحاب هذا القول بعدة أدلة أهمها:

1- دلالة السياق : حيث تغير الضمير إلى الجمع بعد التثنية ولو كانت القصة واحدة لقال "عما يشركان" لتناسب الضمائر مع قوله قبل ذلك: ("دعوا الله ربهما" و "فلما آتاهما صالحا" و "جعللا له شركاء فيما آتاهما") فجاءت هذه الضمائر بالتثنية، فلما أريد عموم بني آدم انتقل الخطاب إلى الجمع في قوله "فتعالى الله عما يشركون" وكذلك الضمائر بعده: "أيشركون ما لا يخلق شيئا" وما بعده إلى آخر الآيات، وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن ².

¹ الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، (1/ 309) .

² الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، (1/ 310) .

2- حديث سمرة عن النبي ﷺ قال « لما حملت حواء طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسموه عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره»¹، فهو صريح في أن القصة كانت مع آدم وحواء .

3- الإجماع الذي نقله الطبري فقال: " وأولى القولين بالصواب، قول من قال: عنى بقوله: "فلما آتاها صالحًا جعلًا له شركاء" في الاسم لا في العبادة، وأن المعنى بذلك آدم وحواء، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك"².

ويبقى الإشكال على هذا القول في وصف "آدم وحواء" بالشرك، فيجاب عنه: بأنه شرك طاعة لا شرك عبادة فهو من جنس صغائر المعاصي التي لم يعصم منها الأنبياء، لأن هناك فرقا بين شرك الطاعة وشرك العبادة، وبيانه: أن الطاعة إذا نُسبت لله فهي عبادة، أما إذا نسبت الطاعة لغير الله فهي ليست عبادة بل هي اتباع أمره فقط، فمثلا المسلم يطيع الرسول ولا يعبده، وقد يطيع الإنسان من له سلطة عليه وهو لا يحبه بل يكرهه، ولكن طاعته هنا بمعنى اتباع أمره فقط، فهذه هي الطاعة التي فعلها آدم وحواء لإبليس لتعلق قلبهما بالولد ، ولكنها لا تعني صرف العبادة لغير الله بل هي مجرد امتثال لأمره ولا تعني عبادته³ .

يقول الإمام السمعاني: " فإن قال قائل: كيف يقول: "جعلًا لله شركاء" وآدم كان نبيا معصوما عن الإشراك بالله؟ قيل: لم يكن هذا إشراكا في التوحيد، وإنما ذلك إشراك في الاسم، وذلك لا يقدر في التوحيد"⁴ .

الجواب الثاني: أن آدم لم يقع في الشرك أصلا، وأن المقصود بالثنائية في الآية في قوله " جعلًا له شركاء فيما آتاها" هو جنس الذكر والأنثى، والمراد بـ "فتعالى الله عما يشركون" هم عموم المشركين، قال ابن العربي: "المراد بهذا جنس الآدميين؛ فإن حالهم في الحمل وخفته وثقله إلى صفة واحدة، وإذا خفّ عليهم الحمل استمروا به؛ فإذا ثقل عليهم نذروا كلّ نذر فيه، فإذا ولد لهم ذلك الولد جعلوا فيه لغير الله شركاء في تسميته وعمله، حتى إن منهم من ينسبه إلى الأصنام، ويجعله لغير الله وعلى غير دين الإسلام، وهذا القول أشبه بالحق، وأقرب إلى الصدق، وهو ظاهر الآية وعمومها الذي يشمل جميع متناولاتها، ويسلم فيها الأنبياء عن النقص الذي لا يليق بجهال البشر، فكيف بسادتهم وأنبيائهم"⁵ .

¹ رواه أحمد في مسنده، مسند البصريين، ومن حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ، رقم: 19258

² جامع البيان، الطبري، (13/ 315) .

³ القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين، (2/ 312) .

⁴ تفسير السمعاني، (2/ 239) .

⁵ أحكام القرآن، ابن العربي، (2/ 355) .

وقد استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة، وردّوا على استدلالات أصحاب القول الأول، بما يلي:

1- أنه القول المناسب للحديث عن مقام الأنبياء، يقول ابن العربي: "وهذا القول أشبه بالحق وأقرب إلى الصدق، وهو ظاهر الآية وعمومها الذي يشمل جميع متناولاتها، ويسلم فيها الأنبياء عن النقص الذي لا يليق بجهال البشر، فكيف بسادتهم وأنبيائهم" ¹.

2- لو كانت حالهما فعلا الوقوع في الشرك، لاستلزم ذلك توبتهما منه إذ لا يعقل موت نبي على الشرك، ولو حدث ذلك وتاب منه آدم لأخبرنا الله بتوبته كما أخبرنا بخطئه، فلا يليق بحكمة الله وعدله نقل ذنبهما وعدم نقل توبتهما ².

3- ما جاء في حديث الشفاعة أن الناس يأتون لأبيهم آدم فيطلبون منه الشفاعة فيعتذر بأكل الشجرة وهو معصية، ولو وقع الشرك منه لكان اعتذاره به أقوى وأولى ³.

4- الإجماع الذي نقله الطبري غير مسلم؛ بل هو منتقض بالخلاف المذكور هنا.

5- الحديث الذي استدلوا به على تفسير الآية ضعفه غير واحد من المحدثين، منهم: الذهبي حيث قال: "وهو حديث منكر" ⁴، وقال الألباني: "ضعيف" ⁵. وضعفه أيضا غير هؤلاء.

بل حتى لو سلّمنا بصحة الحديث لما صح تفسير الآية به لأمر:

- أن الحسن نفسه الذي روى الحديث فسّر الآية بغير هذا المعنى الذي دلّ عليه الحديث، مما يدل على أن الحديث لم يرد تفسيراً للآية بل حكاية لواقعة.

- لم يثبت أن هذا الحديث تفسير للآية، فهو إذا ليس من التفسير النبوي الذي يجب الأخذ به.

- لم يثبت أنه من أسماء الشيطان "الحارث"؛ بل إن اسم الحارث هو من أحب الأسماء إلى الله، كما جاء في الحديث «إن من خير أسمائكم عبد الله وعبد الرحمن والحارث» ⁶.

¹ أحكام القرآن، ابن العربي، (4/ 60).

² القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين، (2/ 309).

³ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (4/ 3).

⁴ ميزان الاعتدال، الذهبي، (3/ 179).

⁵ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، (1/ 516).

⁶ رواه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث خيثمة بن عبد الرحمن، عن أبيه، 17605، رقم: (29/ 147).

المطلب الثاني: توهم وقوع التعارض بإثبات الإيمان والشرك لنفس المحل:

وقد ورد هذا الإشكال في قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾، وسوف أتحدث عن هذا الإشكال والإجابة عنه من خلال المسائل الآتية:

أولاً: وجه الإشكال:

الإشكال الوارد في هذه الآية هو: إثبات الإيمان والشرك في وقت واحد لنفس المخاطب مع تنافي الوصفين، قال الشنقيطي: "وفي هذه الآية الكريمة إشكال: وهو أن المقرر في علم البلاغة أن الحال قيد لعاملها وصف لصاحبها، وعليه فإن عامل هذه الجملة الحالية الذي هو " يؤمن " مقيد بها، فيصير المعنى تقييد إيمانهم بكونهم مشركين، وهو مشكل لما بين الإيمان والشرك من المنافاة"¹.

ثانياً: أقوال العلماء في دفع المعنى المشكل الوارد في الآية:

دفع المفسرون هذا الإشكال الوارد في الآية بثلاثة أجوبة هي أقوال في الآية وهي:

الجواب الأول: أن الإيمان المثبت هو الإيمان ببعض الربوبية لله، والشرك المثبت هو الشرك في الألوهية، فلا تعارض بينهما لأن الإيمان بالربوبية لا يدخل في الإيمان المطلوب شرعاً، لأن المشركين يقرون بربوبية الله ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في زمرة المؤمنين، قال ابن تيمية: "فأما " توحيد الربوبية " وهو الإقرار بأنه خالق كل شيء فهذا قد أقر به المشركون الذين قال الله فيهم: " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون"، قال ابن عباس: تسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله وهم يعبدون غيره"².

الجواب الثاني: الإيمان المثبت في الآية هو الإيمان اللغوي، وهو بمعنى: التصديق وهذا لا يدخل صاحبه في زمرة الإيمان المطلوب شرعاً، وأما المراد بالشرك فهو الشرك الأكبر، فلا تعارض بين الأمرين، قال الشنقيطي: "لم أر من شفى الغليل في هذا الإشكال، والذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أن هذا الإيمان المقيد بحال الشرك إنما هو إيمان لغوي لا شرعي؛ لأن من يعبد مع الله غيره لا يصدق عليه اسم الإيمان البتة شرعاً.

- أما الإيمان اللغوي فهو يشمل كل تصديق، فتصديق الكافر بأن الله هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كفره بالله، ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعاً.

- وإذا حققت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجمع الشرك فلا إشكال في تقييده به"³.

¹ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (2/ 219).

² مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (11/ 50).

³ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (2/ 219).

الوجه الثالث: المراد بالإيمان الإيمان الشرعي، والمراد بالشرك: هو الشرك الأصغر، وقد يجتمعان في الشخص الواحد لأن الشرك الأصغر لا يخرج صاحبه من الملة بل يبيّنه في دائرة المؤمنين العصاة، يقول ابن أبي العز: " ويجتمع في المؤمن ولاية من وجهه، وعداوة من وجهه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ {يوسف:106} " ¹ .

المبحث الثاني: الآيات العقديّة المشكّلة المتعلقة بالقدرة الإلهية وتوجيهها عند أهل السنة .

وتحدثت فيه عن ثلاث آيات تتضمن كل واحدة منها إشكالا، وقد جعلت كل واحدة منها في مطلب، تفصيلها كما يلي: ، توهم كل واحدة منها أن فيها مشكلا قرآنيًا يتعلق بقدرة الله تعالى، الأولى: ، والثانية: توهم وقوع يونس في الشك في قدرة الله عليه، والثالثة: توهم جواز صناعة التماثيل مع أنه منهي عن ذلك .

المطلب الأول: توهم شك إبراهيم في قدرة الله على إحياء الموتى:

وقد ورد هذا الإشكال في قوله تعالى قول إبراهيم - عليه السلام - لربه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ {البقرة: 260}. وسوف أتحدث عن هذا الإشكال والإجابة عنه من خلال المسائل الآتية:

أولاً: وجه الإشكال:

الإشكال الوارد في الآية هو: ظن حصول الشك من إبراهيم في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وهو أبو الأنبياء وإمام الموحدين، مع أن الشك منفي عن آحاد الأنبياء فكيف ينسب لمن بلغ مرتبة الخلة .

ثانياً: أقوال العلماء في دفع المعنى المشكل الوارد في الآية:

دفع المفسرون هذا الإشكال الوارد في الآية بجوابين هما قولان في الآية وهما :

الجواب الأول: وهو قول جمهور المفسرين: أن إبراهيم لم يكن في طلبه لله أن يريه كيفية إحياء الموتى شاكاً في قدرة الله تعالى، بل كان متيقناً ولكنه أراد الانتقال من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين وهي أعلى مرتبة من الأولى، وقد دل على هذا الجواب أدلة كثيرة هي:

1- أن إبراهيم أثبت إيمانه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة في الآيات السابقة التي جاءت في نفس الآية محل الإشكال، فقد قال إبراهيم مقراً بذلك: "ربي الذي يحيي ويميت"، وإنما كان سؤاله عن كيفية إحياء الموتى ليرى ذلك عياناً بعد أن كان بياناً، قال ابن القيم: " أن إبراهيم عليه السلام طلب الانتقال من الإيمان بالعلم بإحياء الله الموتى

¹ شرح العقيدة الطحاوية، ابن جبرين، (2/ 469) .

إلى رؤية تحقيقه عيانا، فطلب - بعد حصول العلم الذهني - تحقيق الوجود الخارجي، فإن ذلك أبلغ في طمأنينة القلب، ولما كان بين العلم والعيان منزلة أخرى " 1 .

2- نفى النبي ﷺ الشكَّ عن إبراهيم يدل على عدم صحة حمل الآية على شكِّ إبراهيم في قدرة الله، وقد جاء ذلك في حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال " رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي " 2 . ومعنى الحديث كما قال ابن الجوزي: " مخرج هذا الحديث مخرج التواضع وكسر النفس، وليس في قوله: "نحن أحق بالشك" إثبات شك له ولا لإبراهيم، وإنما يتضمن نفي الشك عنهما، لأن قوما ظنوا في قوله "أرني كيف تحيي الموتى" أنه شك، فنفي ذلك عنه، وإنما المعنى: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى ألا يشك، فكأنه رفعه على نفسه. ودل بهذا على أن إبراهيم ما سأل لأجل الشك ولكن لزيادة اليقين؛ لأنه أراد المشاهدة التي لا يبقى معها وسواس " 3 .

3- كانت مسألة إبراهيم ذلك ربّه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذه خليلا فسأل ربه أن يريه علامة عاجلة على ذلك، ليطمئن قلبه بأن الله قد اصطفاه لنفسه خليلا ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيِّداً 4 .

4- سؤال إبراهيم ربّه ليريه ربّه كيفية إحياء الموتى إنما كان ليتأكد إبراهيم أنه مجاب الدعوة، وليس شكاً في قدرة الله على إحياء الموتى، قال ابن حبان: " إنما أراد به في استجابة الدعاء له وذلك أن إبراهيم ﷺ قال: " رب أرني كيف تحيي الموتى " ولم يتيقن أنه يستجاب له فيه، يريد: في دعائه وسؤاله ربه عما سأل فقال ﷺ: " نحن أحق بالشك من إبراهيم " به في الدعاء لأننا إذا دعونا ربما يستجاب لنا وربما لا يستجاب ومحصول هذا الكلام أنه لفظة إخبار مرادها التعليم للمخاطب له " 5 .

الجواب الثاني: أن إبراهيم وقع منه الشك فعلا في قدرة الله على إحياء الموتى، وإنما كان ذلك لعارض في قلبه عرض له من الشيطان، فسأل الله أن يريه كيف يحيي الموتى ليطمئن قلبه ويهدأ باليقين، حتى لا يلقي الشيطان الشك في قلبه مرة أخرى، قال الطبري: " وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، ما صحَّ به الخبر عن رسول الله ﷺ أنه

¹ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (3/ 359) .

² رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: قوله عز و جل { ونبئهم عن ضيف إبراهيم }، رقم: 3192 .

³ كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، (3/ 358) .

⁴ جامع البيان، الطبري، (5/ 487) .

⁵ صحيح ابن حبان، (14/ 88) .

قال، وهو قوله: "نحن أحق بالشك من إبراهيم، قال: رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال أولم تؤمن؟"، وأن تكون مسألته ربّه ما سأله أن يُريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه" ¹.

المطلب الثاني: توهم وقوع يونس في الشك في قدرة الله عليه:

وقد ورد هذا الإشكال في قوله تعالى ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)﴾ {الأنبياء: 87}، وسوف أتحدث عن هذا الإشكال والإجابة عنه من خلال المسائل الآتية:

أولاً: وجه الإشكال في الآية:

بيّن الإمام السمعاني الإشكال الوارد في الآية بقوله: "اعلم أن في الآية سؤالاً معروفاً يعدّ من مشكلات القرآن، وهو أنه قال: "فظن أن لن نقدر عليه" فكيف يظن هذا بالله، ومن ظن هذا بالله فقد كفر؟" ².

أقوال العلماء في دفع المعنى المشكل الوارد في الآية:

دفع المفسرون هذا الإشكال الوارد في الآية بثلاثة أجوبة هي أقوال في الآية وهي:

الجواب الأول: معنى "نقدر عليه" أي: نضيق عليه من التقدير وهو التضييق، فتكون الآية بمعنى: فظن أن لن نضيق عليه في فعله وخروجه قبل إذن الله تعالى له، وهذا قول الجمهور، قال ابن جماعة: "قوله تعالى "فظن أن لن نقدر عليه"، أي نضيق لأن النبي لا يجهل صفة من صفات الله تعالى وهي قدرة الله تعالى عليه" ³.

وقال ابن حزم رادا على من فهم غير هذا المعنى فقال: "وأما قوله تعالى "فظن أن لن نقدر عليه" فليس على ما ظنوه من الظن السخيف الذي لا يجوز أن يظن بضعيفة من النساء أو بضعيف من الرجال إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل فكيف بنبي مفصل على الناس في العلم ومن المحال المتيقن أن يكون نبي يظن أن الله تعالى الذي أرسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى أن آدمياً مثله يقدر عليه... فقد بطل ظنهم بلا شك وضح أن معنى قوله "فظن أن لن نقدر عليه"، أي: لن نضيق عليه كما قال تعالى "وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه"، أي: ضيق عليه فظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يضييق عليه في مغاضبته لقومه إذ ظن أنه محسن في فعله ذلك" ⁴.

¹ جامع البيان، تفسير الطبري، (5/ 491).

² تفسير السمعاني، (3/ 403).

³ إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، بدر الدين ابن جماعة، (ص: 200).

⁴ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (4/ 13-14).

وهذا المعنى الذي تضمنه هذا القول من إطلاق التضييق على التقدير معنى معروف في لغة العرب كما أثبتته أئمة اللغة، قال الإمام الأزهري: " والمعنى: ما قدره الله عليه من التضييق في بطن الحوت، ويكون المعنى: ما قدره الله عليه من التضييق، كأنه قال: ظن أن لن نضيق عليه، وكل ذلك شائع في اللغة، والله أعلم بما أراد " ¹ .

الجواب الثاني: أن معنى " أن لن نقدر عَلَيْهِ " أي: نقدر عليه، من التقدير وهو: القضاء والقدر، فيكون معنى الآية: فظن أن لن نقدر ونكتب عليه ما حصل له ولذلك فعل ما فعل ² .

الجواب الثالث: معنى " أن لن نقدر عَلَيْهِ " على ظاهرها فهي من القدرة والاستطاعة، حيث توهم يونس أننا لن نستطيع عليه، وكان منه ذلك بوسوسة الشيطان له ، قال الزمخشري: " يجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ، ثم يردعه ويردّه بالبرهان ، كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت " ³ ، وقال الشيخ السعدي في بيان معنى الآية: " ظن أنه سيفوت الله تعالى، ولا مانع من عروض هذا الظن للكتمل من الخلق على وجه لا يستقر، ولا يستمر عليه " ⁴ .

وقد رد هذا المعنى بعض العلماء وأنكروه لأنه لا يليق بمعنى اللغة وأن من قاله لا يعلم المعاني الأخرى للفظه "نقدر" فقالوا له، ومن أولئك الإمام أبو حاتم حيث قال رادًا على الإمام الأخفش: " ولم يدر الأخص ما معنى (نقدر) ، وذهب إلى موضع القدرة، إلى معنى فظن أن يفوتنا ولم يعلم كلام العرب... ولو علم أن معنى نقدر: نضيق، لم يخبط هذا الخبط ولم يكن عالما بكلام العرب، وكان عالما بقياس النحو " ⁵ .

المطلب الثالث: توهم جواز صناعة التماثيل مع أنه منهي عن ذلك:

وقد ورد هذا الإشكال في قوله تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ {سبأ:13}. وسوف أتحدث عن هذا الإشكال والإجابة عنه من خلال المسائل الآتية:

أولاً: وجه الإشكال في الآية:

¹ تهذيب اللغة، الأزهري، (9/ 39) .

² آيات العقيدة المتوهم إشكالها، زيد بن حمد العامر، ص: 487 .

³ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، (3/ 132) .

⁴ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 529) .

⁵ تهذيب اللغة، الأزهري، (9/ 39) .

روي في قصة سليمان أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه، ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما¹.

ويكمن الإشكال الوارد في هذه الآية في قوله تعالى "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ"، فقد وردت الآية في سياق امتنان الله تعالى على نبيه سليمان بما يصنع له جنوده وذكر منها التماثيل، والتماثيل جمع (تمثال)، وهو اسم للشيء المصنوع باليد، الممثل بغيره أي: المشبه به من إنسان أو حيوان أو غيرها، وهذا كله يوهم جواز صنع التماثيل والجسمات ذات الروح، لأن الله لا يمتن إلا بمباح، مع أن النبي نهى في عدة أحاديث عن ابتداء صنع التماثيل ومن ذلك حديث أبي هياج الأسدي الذي قال: "بعثني علي قال لي أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تماثلاً إلا طمسته"².

وليس الكلام هنا عن تكسير التماثيل بعد صنعها، فهذه مسألة أخرى إذ أن بعض الصحابة لم يكسروا التماثيل المصنوعة مع قدرتهم على ذلك لأنهم أمنوا من عدم عبادة الناس لها أو تقديسها، قال الطبري في تاريخه: "لما دخل سعد المدائن فرأى خلوتها، وانتهى إلى إيوان كسرى، أقبل يقرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ (28)﴾ {الدخان: 25-28}. وصلى فيه صلاة الفتح، ولا تصلى جماعة، فصلى ثماني ركعات لا يفصل بينهم، واتخذ مسجداً وفيه تماثيل الجص: رجال وخيل، ولم يمتنع -ولا المسلمون لذلك- وتركوها على حالها، قالوا: وأتم سعد الصلاة يوم دخلها، وذلك أنه أراد المقام فيها، وكانت أول جمعة بالعراق جمعت جماعة بالمدائن في سنة ست عشرة" ³.

أقوال العلماء في دفع المعنى المشكل الوارد في الآية:

دفع المفسرون هذا الإشكال الوارد في الآية بجوابين هما قولان في الآية وهما:

الجواب الأول: أن صنع التماثيل كان جائزاً في شريعة داود عليه السلام، ونهى عنه في شريعتنا ولذلك امتن الله به عليه، والحكم كله لله، قال النسفي: "وكان التصوير مباحاً حينئذ"⁴، فكان امتنان الله تعالى عليهم بما أباحه

¹ التيسير في أحاديث التفسير، المكي الناصري، (5/ 176)، و تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، (23/ 224).

² رواه أبو داود في كتاب الجنائز، باب في تسوية القبر، رقم: 2801.

³ تاريخ الأمم والملوك، الطبري (2\ 464).

⁴ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (3/ 56).

لهم، وأما في شريعة مُحَمَّد ﷺ فقد نهي المسلمون عن صناعة التماثيل وتصويرها بما سبق ذكره من أدلة، قال السيوطي: "قال ابن الفرس: احتجت به فرقة في جواز التصوير، وهو ممنوع فإنه منسوخ في شرعنا"¹. واستحسن هذا التوجيه وقال به مجموعة من المفسرين، مثل: الإمام القرطبي، والزمخشري والبقاعي وغيرهم من جمهور المفسرين².

الجواب الثاني: أن المقصود من التماثيل في الآية هو: نقوش ليست من ذوات الأرواح فلا تدخل في المنهي عنه في شريعتنا أصلاً، قال الحافظ ابن حجر: "ويحتمل أن يقال: إن التماثيل كانت على صورة النقوش لغير ذوات الأرواح، وإذا كان اللفظ محتملاً لم يتعيّن الحمل على المعنى المشكل"³.

ولاشك أن الراجح هو القول الأول كما بين ذلك الإمام ابن عاشور فقال: "ولم تكن التماثيل المجسّمة محرمة الاستعمال في الشرائع السابقة وقد حرمها الإسلام؛ لأن الإسلام أعمن في قطع دابر الإِشراك من نفوس العرب وغيرهم، وكان معظم الأصنام تماثيل فحرم الإسلام اتخاذها لذلك ولم يكن تحريمها لأجل اشتغالها على مفسدة في ذاتها ولكن لكونها كانت ذريعة للإِشراك".

واتفق الفقهاء على تحريم اتخاذ ما له ظل من تماثيل ذوات الروح إذا كانت مستكملة الأعضاء التي لا يعيش ذو الروح بدونها، وعلى كراهة ما عدا ذلك مثل التماثيل المنصّفة، ومثل الصور التي على الجدران وعلى الأوراق والرقم في الثوب ولا ما يجلس عليه ويداس. وحكم صنعها يتبع اتخاذها. ووقعت الرخصة في اتخاذ صور تلعب بها البنات لفائدة اعتيادهن العمل بأمر البيت"⁴.

خاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث أسجل النتائج الآتية:

- يقع الإشكال في الآيات العقدية بسببين: إما لسوء فهم الآية على حقيقتها أو سوء النية في فهمها حيث يكون الغرض: الطعن في القرآن.

¹ الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، (ص: 215).

² الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، (4/ 96)، وأحكام القرآن، القرطبي، (14/ 273)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (15/ 467).

³ فتح الباري، ابن حجر، (10/ 382).

⁴ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ص: 3421).

- كل الإشكالات الواردة في الآيات العقديّة أجاب عنها العلماء بإجابات مختلفة وعلّلوا ذلك: بالأوجه اللغوية أو النسخ أو الآثار الواردة في الباب .

- دائماً نختار في الإجابة عن المشكلات القرآنية الجواب الذي لا تترتب عليه اعتراضات كثيرة فيكون هو الأسلم .

- غالب الإشكالات التي ذكرت في البحث تعلقت بعصمة الأنبياء، لذا يجب حمل الآية على الوجه الذي تحفظ به كرامة النبي وعصمته ويسلم من الطعن فيه .

قائمة المصادر المراجع:

- 📖 الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: 1394هـ/1974م .
- 📖 أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، راجعه: مُجَدِّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 3، سنة: 1424 هـ/2003 م .
- 📖 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُجَدِّد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، (د.ط)، عام: 1415هـ .
- 📖 الإكليل في استنباط التنزيل، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة: 1401 هـ - 1981 م .
- 📖 آيات العقيدة المتوهم إشكالاتها، زيد بن حمد العامر ، مكتبة دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، سنة: 1435م.
- 📖 إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، بدر الدين بن جماعة، المحقق: وهي سليمان غاوجي الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر - مصر، الطبعة: الأولى، سنة: 1410هـ - 1990م .
- 📖 تاريخ الأمم والملوك، مُجَدِّد بن جرير الطبري، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ، سنة: 1407 .
- 📖 التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997 م .
- 📖 تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر السمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، سنة: 1418هـ - 1997 م .

📖 تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الأمين الهري ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم مُجَد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: 1421 هـ – 2001 م .

📖 تهذيب اللغة، الأزهري، ت: مُجَد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، سنة: 2001م .
📖 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1420هـ/2000 م .

📖 التيسير في أحاديث التفسير، مُجَد المكّي الناصري، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: 1405 هـ – 1985 م .

📖 الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: 2، سنة: 1384هـ/1964 م .

📖 سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، سنة: 1412 هـ / 1992 م .

📖 سنن أبي داود، دار الكتاب العربي - بيروت .

📖 صحيح ابن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: 2، سنة: 1414هـ/1993م .

📖 صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط: 3، سنة: 1407 / 1987، ت: د مصطفى ديب البغا .

📖 جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ت: أحمد مُجَد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1420 هـ/2000 م .

📖 فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، سنة: 1379هـ .

📖 الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة .

📖 القول المفيد على كتاب التوحيد، مُجَد بن صالح بن مُجَد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، سنة: 1424هـ .

📖 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – سنة: 1407 هـ .

- 📖 مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس بن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م .
- 📖 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، المحقق: مُجَدِّد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: 1416 هـ - 1996 م .
- 📖 مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: 1419 هـ - 1998 م .
- 📖 مسند الإمام أحمد، تأليف: أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: 2، سنة: 1420 هـ /1999م .
- 📖 ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق: علي مُجَدِّد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: 1382 هـ - 1963 م .
- 📖 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، سنة: 1415 هـ - 1995 م .